الآداب الملتقى

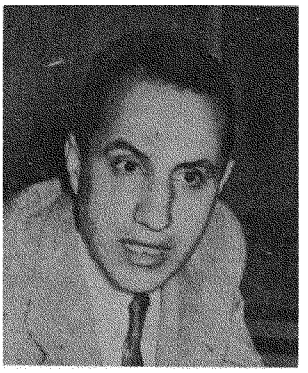

د. شكري فيصل

أخي الكريم الاستاذ الدكتور سهيل .

حين قرأت كلمتك عن العدد الذي تنوي اصداره بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على اصدار «الآداب» انتابتني رعشة خفيفة لست أدري بالضبط مصدرها .. ولكني اذ عدت الى نفسي بعد ذلك أدركت ان هذا الفاصل الزمني الذي يفصل بيننا وبين العدد الاول الميمون من مجلتك الكريمة هو الذي استثارني .. لم أكن أشعر بهذه السنين على هذا النحو .. كانت الايام تمر بعد الايام ، وكان الشهر يقود الى الشهر ، وكان العدد من « الآداب » يسوق الى العدد الذي بعده ... فلم نكن نحس هذا التتابع بمثل هذا الاحساس .. كان يمضي بطيئا .. ولكنني وجدتني مع رسالتك للمرة الاولى اواجه هذه الاعوام كلها مرة واحدة .

واذن فقد انقضى ربع قرن على رسالتك الاولى التي بعثت بها اليّ تخبرني عن اصدار « الآداب » .. ولا أزال أحتفظ حتى اليوم بهذه الرسالة .. كان فيها بعض الاسئلة التي أجبت عنها ببعض المقترحات .. وكان فيها صورة أعلان اقترحت عليّ نشره آنذاك في بعض صحف دمشق .. وكان فيها هذه الروح التي تلازم الانسان اذ يقدم على مشروع ضخم مثل مشروعك .. روح من الامل واستشفاف المستقبل ، وروح من الاشفاق والتهيب المقرون بالحزم .. كنت كأنما تخط بعض آفاق مستقبلك من خلال هذه الرسالة ، وكأنما تتطلع اليه وتتقدم نحوه .

خلال هذه السنوات الكثيرة كانت « الآداب » معي وكنت معها .. اغتربت وأقمت ، رحلت وسكنت .. مضيت الى هذا البلد أو ذاك في مشرق وطننا العربي وفي مغربه .. دون أن يداخلني أي احساس بالغربة .. ذلك لأنك كنت « بآدابك » معي ومع الكثيرين .. وكنت تجمعنا ، على البعد والقرب وعلى الاقامة والظعن ، على صفحات مجلتك .. فاذا التقينا بعد ذلك كنا على صلة بكل الذي كان في دنيا الفكر أو في دنيا الانتاج الادبي ..

وفي صفحات « الآداب » وجدنا متنفسنا في كل ما كان يخالطنا وما كنا نكابده .. لا تكاد تفاجئنا الهموم حتى نجد في الكتابة الى « الآداب » أو في قراءة «الآداب» ما يفثأ هذه الهموم .. لاننا كنا نحس اننا لسنا وحدنا وان هناك هذا الرباط الروحي الذي يصل بيننا ... على ما يكون بيننا احيانا من خلاف في الرأي أو في النظر .

* * *

« آدابك » كانت هذا الخيط الذي وصل بين الكثيرين من المثقفين والادباء .. عرّف بعضهم ببعض ، ونقل الى بعضهم صورة بعض في أدبه وفكره وفي تجليات عالمه الداخلي .. ولقد استطعت من خلال أهدافك العميقة وانتمائك العربي العريض أن تكون الملتقى .. كان لك في ذلك فضل متابعة هذه المجلات الاصيلة التي الفت بين قلوب القارئين والمثقفين والادباء والشعراء الذين حملوا هموم أمتهم وتطلعاتها كما حملوا همومهم الذاتية .. وانت معي أيها الأخ الصديق في ان المدى لم يكن بعيدا بين همومنا الذاتية وبين همومنا القومية .. كانت الدائرة الصغرى مشتقة من الدائرة الكبرى .. وما عرفنا منذ مرحلة الفتاء والنمو ان لنا قضية خاصة .. كانت قضيتنا

هي قضيـة هذا الوطن .. قضية وحدته اولا ، وقضيـة وقضية استئناف حياته وحركته الحضارية ثانيا .. في كثير من الاصالة والابداع ..

قلت انك تابعت هذه السلسلة الطويلة من المجلات التي استأثرت بهموم الوطن وأفكاره وأدبه وحضارته .. سلسلة يذكر منها الانسان : المقتبس والزهراء ، ويذكر بعد ذلك الرسالة والثقافة .. ثم يذكر الاديب والآداب.. يذكر جيل كردعلي ومحيي الدين الخطيب ، وجيل الذين تتلمذوا على مجلة الزيات ومجلة أحمد أمين .. ثم هـذا الجيل الذي توزعت ـ مع مجـلة الاديب ـ تطلعاتـه وانتاجه .. فأما الاديب فقـد أولت الادب الذاتي اكثر اهتمامها ، وأما أنت فقد قرنت بين الادب الوجداني وهذا الادب الآخر الذي أخذ يلح على قضايا مجتمعـه ويسخر ادبه لهذه القضايا .. ممازجا في تآلف بين ذاته الضرورية وبين ذاته الاجتماعية ..

ولعلك في بعض الفترات ذهبت الى ابعد مما كنا نؤثر أن تذهب اليه .. كان لك رأيك وكان لك اجتهادك ، ولعله كان لك ، في موقفك ، ظروفك التي أملت عليك هذا الموقف .. ولكن كيف كنت وأين كنت فقد كنا مطمئنين الى انك لن تفارق منطلقاتك الاولى .. كان ابتعادك نوعا من تأكيد وجودك في هذه الجبهة التي تضمنا .. جبهـة الوطن العربي الذي يجب أن ينشد أول ما ينشد وحدته.. لان وحدتـه أولا هي التي تضع أقدامـه على الطريق المستقيم ، أما ما وراء ذلك من اتجاهاته الاجتماعية فأمر لا يجب أن يستبد به ولا أن يقسم صفوفه ... ان اجتياز النهر الى الشاطىء الآخر هو القضية .. أما ما نفعله حين نصل الى الشاطىء الآخر ، شاطىء الامان ، فأمر لا يعسر أن نجد له الحل .

* * *

على نحو ما تنثـال أمامي ذكريـات « الآداب » ومواقفها ، أقدر ان أضعاف أضعاف هذه الذكريات كانت تراودك وستظل تراودك وأنت تعد لعددك الاول في العام السادس والعشرين .. فهل تملك فـي غمرة فرحتك أن تقدر (الدور) الذي نهضت به « الآداب » خلال هذه الاعوام الطويلة ؟

هل تقدّر ان المجلة كانت مدرسة متنقلة .. كانت جامعة أشاعت ألوانا من الادب وفنونا من الدراسات .. الكبار ألقوا اليها بما عندهم والذين كانـوا صغارا أفادوا منها ونشأوا بين ظلالها ...

لا أستطيع أن أتصور مدى السعـادة التي تغمرك وأنت تعرض أسماء كل الذين كتبوا الى « الآداب » والذين نشأتهم « الآداب » ، الذين أعانوها والذين استعانوا بها.. انهم هذان الجيلان .. وستحار أين تضع اصبعك .. فمن بين طلاب « الآداب » الآن وجوه بارزة في معالجة القصة والشعر والادب ، في النقد والدراسة ، في قضايا الوطن العربي وفي مشكلاته وهمومه وقضاياه .. منتشرون هنا وهناك ...

فليهنك أيها الصديق الكريم انك كنت صورة للمواطن المثقف الذي وضع نفسه في الصفوف الاولى .. أخذت وأعطيت ، قبلت ورفضت ، ناقشت وناصرت .. كانت لك مع مجتمعك كل هذه الخيوط والخطوط التي وصلت بينك وبينه ؛ تنبع حينا من ذاتك وحينا من ذات المجتمع .. على تماثل وتوافق .

الكلمات يا صديقي لا تعينني على أن أقول لك كـل شيء .. لا مما أحسه ولا مما أفكر فيـه .. لا أملك ان أقول كل ما أحسه لاني مأخوذ بكل ذكريات هذه السنين.. ونحن لا نملك أن نبين حين تأخذنا عواطفنا وانفعالاتنا .. ولا أملك أن أقول كل ما أفكر فيه لاني لا أريـد أن اتهم بالثناء عليك .. وان يكن هذا الثناء فريضة يفترضهـا ما أعرف من اخلاصك وما قدمت بين يدي اخلاصك مـن عمل كبير .

أخشى أن أكون قد أطلت عليك .. ولكن لا بد مـن أن أشيد بالجهد الآخر الذي تكامل مع جهدك .. جهـد السيدة التي رافقتك وستظل ، في هذه الرحلة وفي أمثال عديدة متطاولة لها .. كان مكانهـا في « الآداب » حين تغيب أنت مثل مكانك .. ومن يدري فقـد يكون فوق مكانك في بعض المرات حين تسافر هنا وهناك ... ومـا دخلت دار الآداب في مقرها القديم أو في بنائهـا الجديد وكنت غائبا الا وجدتها تتابع العمل وتراقب الحركة وتدفع بها هنا أو هناك ...

ألم تكن تلك من معاني شركة الحياة ؟

* * *

أحاول أن ألفت نظري عن السنوات التي مضت الى سنوات تستقبلها ونستقبلها .. وان الآمال الخضر لتتلامح فوقها كلها ، وانها لتومىء الى (اليوبيل) الذهبي .. ثم انها لتومىء الى (اليوبيل) الماسي .. انه لا شيء أحلى من الامل الذي يخالط أصحاب العقيدة .. ولا شيء أثمن عندهم من أن تتجلى هذه العقيدة في عمل من الاعمال .. وهل أحلى من عملية التواصل الفكري .. أن تكون فيهـا وأن تكون منها وأن تكون لها ؟!

الدعاء في أدبنا وتقاليدنا يمثـل لهفتنا وآمالنـا ومكابداتنا وتطلعاتنا .. فليحفظ الله علينا جميعا سلامة المعتقد وصلابته ، وصحة الطريق ورشادته ، ووضـوح القصد وتألقه .

وسلمت « الآداب » لرسالتها في خدمة العربية ، في لغتها وفكرها ، والعروبة في حركتها ووحدتها .

ولك من أخيك ، موافقا في اكثر الاحايين ، مخالفا في أقلها ، أطيب أمانيه .

دمشق